



<http://virtuelcampus.univ-msila.dz/leltp/?=212>

ص 13-28

المجلد: 01 العدد: 02 (2021)

تلقي النص من البنية إلى السياق:

دراسة في تفاعل الكفاءات

## Receiving the text from structure to context (A study on the interaction of competencies)

د. محمد بنخريدلة

ج. الشهيد محمد لخضر-الوادي (الجزائر)

[benkhridla-ohammed@univ-eloued.dz](mailto:benkhridla-ohammed@univ-eloued.dz)

المخلص:	معلومات المقال
<p>تناول هذه المداخلة موضوع تلقي النص من البنية إلى السياق. وقد عدت لسانيات النص فرعا من اللسانيات الذي يخترق عوالم النص، ويبحث في نسجه اتساقا وانسجاما متعاملا معه كنظام للتواصل والإبلاغ السياقي، ونسق للفهم والإفهام مبرزا العلاقة بين ذلك النص وسياقه التداولي، ويبحث عن الآليات اللسانية والسياقية التي تساهم في تشكيل النص وتلقيه مؤكدا في هذا الصدد على دور كفاءة المتلقي في تحقيق انسجام النص ضمن سيرورة عملية التلقي والتأويل والفهم. وهذا لا يؤدي ثمره - فيما أراه - إلا من خلال تفاعل جملة من الكفاءات تعضد بين ما هو بنوي (لساني) وما هو سياقي (تداولي). وهذا ما يسعى البحث تبينه من خلال عرض ثلاث كفاءات أساسية لتلقي النص: كفاءة لسانية وكفاءة تداولية، وكفاءة استدلالية.</p>	تاريخ الإرسال: 2021/05/12
	تاريخ القبول: 2021/05/26
	الكلمات المفتاحية: ✓ التلقي ✓ التأويل ✓ الكفاءة ✓ البنية ✓ السياق ✓ النص
<b>Abstract:</b>	<b>Article info</b>

*This paper deals with the topic of receiving text from structure to context. Textual Linguistics has been considered as a branch of linguistics, which penetrates the worlds of text, looking at its texture consistent and in line collaborator with it as a system of communication and reporting contextual, and format to understand and incomprehensible, highlighting the relationship between the text and context of Deliberative, and researcher for the linguistic and contextual mechanisms that contribute to the formation of the text and received, stressing in this regard On the role of the recipient's competence in achieving the harmony of the text within the process of the process of receiving and deification.*

*This does not bear fruit –as far as I understand- only through the interaction of a number of competencies to back what is structural (linguistic) and what is contextual (deliberative). This is what our research seeks to reveal by offering three core competencies to receive the text: the linguistic efficiency, the pragmatic efficiency, and the evidentiary efficiency.*

**Received:**

08/05/2021

**Accepted:**

16/05/2021

**Keywords:**

- ✓ Receiving
- ✓ Interpretation
- ✓ Efficiency
- ✓ Structure
- ✓ context

Text

## تَلْقِي النَّصِّ مِنَ الْبُنْيَةِ إِلَى السِّيَاقِ: دِرَاسَةٌ فِي تَفَاعُلِ الْكَفَاءَاتِ

مقدمة:

1. أَهْمِيَّةُ الْبَحْثِ: يَكْتَسِبُ الْبَحْثُ أَهْمِيَّتَهُ مِنْ خِلَالِ النِّقَاطِ النَّالِيَةِ:  
- يُمَكِّنُ أَنْ يُسَهِّمَ الْبَحْثُ فِي إِثْرَاءِ الْمُحْتَوَى الْمَعْرِفِيِّ وَالْعِلْمِيِّ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِقَضِيَّةِ تَلْقِي النَّصِّ.

- يُمَكِّنُ أَنْ يُسَهِّمَ الْبَحْثُ فِي مَلْءِ فَرَغَاتٍ مُوجُودَةٍ فِي الظَّاهِرَةِ الْمُحْثُوثِ فِيهَا.  
- يُمَكِّنُ أَنْ يُسَهِّمَ الْبَحْثُ -تَطْبِيقِيًّا- فِي مُسَاعَدَةِ الطَّلَابِ وَأَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ فِي قِرَاءَةِ وَتَحْلِيلِ النُّصُوصِ.

2. أَهْدَافُ الْبَحْثِ: يَتَوَخَى هَذَا الْبَحْثُ تَحْقِيقَ عِدَّةِ أَهْدَافٍ نَذَكُرُ مِنْهَا مَا يَلِي:  
- إِبْرَازُ مَدَى فَعَالِيَّةِ تَفَاعُلِ الْكَفَاءَاتِ الثَّلَاثِ (لِسَانِيَّةً، تَدَاوُلِيَّةً، اسْتِدْلَالِيَّةً) فِي عَمَلِيَّةِ تَلْقِي النَّصِّ.

- بَيَانُ أَهْمِيَّةِ السِّيَاقِ التَّدَاوُلِيِّ فِي عَمَلِيَّةِ التَّلْقِي.  
- الْمُسَاهَمَةُ فِي كَشْفِ عَجْزِ التَّفْسِيرِ الْبِنْيَوِيِّ (الِلِّسَانِيِّ) الصَّرْفِ لِلْمَلْفُوظَاتِ.  
3. مَنَهْجُ الْبَحْثِ: سَيَتَّبَعُ الْبَحْثُ أَلْيَاتِ الْمَنَهْجِ الْوَصْفِيِّ التَّحْلِيلِيِّ فِي مُعَالَجَتِهِ لِلْمَوْضُوعِ.

الْإِطَارُ النَّظْرِيُّ لِلْبَحْثِ: لِتَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ الْمَذْكُورَةِ أَعْلَاهُ سَيَتَنَاوَلُ الْبَحْثُ الْعُنَاصِرَ الْآتِيَةَ:

أولاً- مَفَاهِيمُ نَظْرِيَّةُ: التَّلْقِي-الْكَفَاءَةُ-السِّيَاقِ-الْقَصْدُ.

ثانيا- تَدَاوُلِيَّةُ السِّيَاقِ.

ثالثا- عَتَبَاتُ التَّلْقِي: عَتَبَةُ التَّعَاوُدِ-عَتَبَةُ السِّيَاقِ-عَتَبَةُ الْقَصْدِ.

رابعا- كَفَاءَاتُ التَّلْقِي: كَفَاءَةُ لِسَانِيَّةُ-كَفَاءَةُ تَدَاوُلِيَّةُ-كَفَاءَةُ اسْتِدْلَالِيَّةُ.

خامسا- نَمُودَجُ تَطْبِيقِيٍّ لِاسْتِعْمَالِ الْكَفَاءَاتِ الثَّلَاثِ.

1. مَفَاهِيمُ نَظَرِيَّةِ (التَّلَقِّي، الكَفَاءَةُ، السِّيَاقُ، الْقَصْدُ):

1.1. التلقي (Réception): لقد أصبح الانشغال بمسألة التلقي في الدراسات النقدية والأدبية الحديثة قضية مركزية وأساسية؛ فبعد ظهور نظرية التلقي والتأويل في الساحة النقدية أضحت عينُ الاهتمام منصبة على الذات المتلقية، وعلى مدى تفاعلها ومشاركتها في إدراك وفهم مقاصد النص بواسطة فعل التلقي والتأويل<sup>1</sup>؛ ذلك أن التلقي نشاط معرفي، وممارسة قرائية تأويلية تفاعلية مع النص تتجاوز نسقه اللساني في محاولة لسبر أغوار المعاني والدلالات المضمرة فيه، فيصير بهذا القارئ منتجا للدلالة وعنصرا فاعلا في تشكيلها، وهذا يتطلب جهدا تأويليا كبيرا؛ أي إنه استراتيجيا- يحتاج إلى كفاءات، وهذا ما ستوضحه هذه الورقة العلمية في مظانه إن شاء الله تعالى.

2.2. الكفاءة (Compétence): يشيع مصطلح الكفاءة في الكثير من المجالات

الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتعليمية والتربوية، ليدل على معناه العام الذي يعني: امتلاك الفرد مجموعة من القدرات والمهارات المختلفة؛ المعرفية والاجتماعية والتواصلية وغيرها، «وهذا المفهوم العام ينقسم إلى مستويين:

- المستوى الأول: يتضمن امتلاك الفرد المعرفة ليكون قادرا على مواجهة مشكلة ما.

- المستوى الثاني: يتضمن امتلاك الفرد للخبرة في مجال معين ليكون قادرا على

العمل بكفاءة في الموقف ويتصرف بطريقة مناسبة»<sup>2</sup>.

وأما الحديث عن الكفاءة في حقل الدراسات اللسانية فإنَّ القارئ المتفحص سيجد أنَّ الكفاءة أنواع منها: الكفاءة اللسانية، والكفاءة التداولية، والكفاءة التواصلية، والكفاءة النصية ... إلخ، وهذا ما أدى إلى صعوبة وضع تعريف محدد للكفاءة. ورغم ذلك يمكن أن نعرف الكفاءة لسانيا اعتمادا على مفهومها العام بأنَّها: «القدرة التي يجب على الفرد أن يتمتع بها لإنتاج ملفوظات تنتهي إلى تشكيلة خطابية محددة»<sup>3</sup>.

## تَلَقِّي النَّصِّ مِنَ الْبُنْيَةِ إِلَى السِّيَاقِ: دِرَاسَةٌ فِي تَفَاعُلِ الْكَفَاءَاتِ

3.1. السياق (Contexte): يعتبر مفهوم السياق من المفاهيم التي أسالت حبر الكثير من الدارسين والباحثين؛ نظرا لتعدد مجالات استعماله فهو يطلق على عدة مفاهيم مثل: السياق الاجتماعي والسياسي والثقافي، والسياسي النفسي، والسياسي اللغوي، والسياسي المقامي ...، لذلك فعندما نطرح السؤال الموالي: ما هو السياق؟ فإننا لن نجد له إجابة مباشرة أو بسيطة يمكن أن تقدم عنه.<sup>4</sup> ورغم ذلك سنكتفي هنا بإلقاء الضوء على تعريف السياقين، اللغوي والمقامي لسببين: أولهما لعلاقتها بموضوع البحث، وثانيتها لأنَّ أيَّ خطاب يُبَيَّن من عنصرين، عنصر داخلي يمثله السياق اللغوي، وعنصر خارجي يمثله السياق المقامي، وفيما يلي تبيان ذلك:

فأما السياق اللغوي أو المقالي فهو: «مجموعة من العناصر التي تسبق أو تلي وحدة معينة (فونيم، كلمة، مجموعة كلمات ...) في الخطاب».<sup>5</sup> فهو سياق على مستوى المحور الأفقي التركيبي؛ حيث يتركب من العلاقات الداخلية بين الوحدات اللسانية.

وأما السياق غير اللغوي أو المقامي فيعرف بأنه: «مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام وتسمى هذه الظروف في بعض الأحيان بالسياق».<sup>6</sup> فهذا النوع من السياق أوسع من السياق اللغوي؛ إذ يرتبط بالظروف الخارجية غير اللسانية التي أنتج فيها الخطاب، فما من تواصل لغوي إلا ويحده إطار زمني ومكاني، ومحيط فيزيقي يتكون من الأطراف المتخاطبة تتدخل في إنتاجه لفظاً ومعنى؛ لذلك جعلت (المقامية) مُقَوِّمًا مهما من مقومات نصية النص. ومنه يجدر بي في هذا المقام أن أنوه القارئ إلى أنَّ هذا البحث سيستعمل مصطلح "البنية" للدلالة على السياق اللغوي، ويستخدم مصطلح "السياق" ليعني به الأحوال المصاحبة للموقف التواصلية، وهذا اصطلاح "فان دايك".<sup>7</sup>

4.1. القصد (Intention): لا يخفى على كل باحث لساني أنَّ المقصدية من أهم مرتكزات نصية النص، فكل منتج للخطاب (شفوي أو مكتوب) له فيه غرض يريد

تحقيقه، ومعنى يروم إيصاله إلى ذهن المتلقي (مستمع أو قارئ)، فالقصد «يتضمن موقف منشئ النص من كونه صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والاتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها»<sup>8</sup>.

وهذا، والقصد في الخطاب قصدان: قصد صريح ظاهر يُفهم من البنية اللسانية للخطاب وهو ما يسميه "بول غرايس" بالدلالة الطبيعية الوضعية أو المعنى الحرفي للملفوظات، وقصد ضمني غير ظاهر يحتاج إلى تبصُّر وتدبر وتأويل من طرف المتلقي وهو ما يطلق عليه بالدلالة غير الطبيعية أو المعنى غير المباشر.<sup>9</sup> من هذا يتبين أنّ القصد بنوعيه الصريح والضمني ركيزة مهمة في بناء تشكيل الخطاب أو بناء النص سبكا وحبكا، ووسيلة فاعلة يتغيا بها المخاطب التأثير في المتلقي، الأمر الذي يصنع نموذجا تفاعليا (Interaction) بين النص والمتلقي.

2. تداولية السياق: إنه لمن المعلوم أنّ التداولية (Pragmatique) عندما ظهرت في حقل الدراسات اللسانية، ظهرت بوصفها علما يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بمستعملها إنتاجا وتلقيا في مقابل دراسة بنية اللغة التي تهتم بها أساسا اللسانيات أولا، وفي مقابل دراسة الدلالة الوضعية التي تهتم بها علم الدلالة ثانيا؛ فعندما عجز المنهجان البنيوي والدلالي عن تفسير المعاني السياقية في أغلب الأنماط الخطابية حملت التداولية على عاتقها دراسة ذلك، حتى أضحى تعرف بأنّها: «العلم الذي يدرس المعنى السياقي»<sup>10</sup>. فلو أردنا على سبيل المثال فهم بعض الوحدات الإشارية مثل: هذا، هنا، ذلك، أنا، أنت ... إلخ، فإنّ التحليل اللساني الصرف لن يسعفنا في الظفر بالمعنى المقصود أو المرجع المحال عليه، ولهذا لا مناص من الإلمام ببعض المعطيات السياقية: كمعرفة هوية المتخاطبين، والإطار الزمكاني، ومرجعية الخطاب ...<sup>11</sup>.

## تَلَقِّي النَّصِّ مِنَ الْبُنْيَةِ إِلَى السِّيَاقِ: دِرَاسَةٌ فِي تَفَاعُلِ الْكَفَاءَاتِ

يقول "أزوالديكرو": «إننا نسمي مقام الخطاب مجموع الظروف التي نشأ التعبير في وسطها (الكتابي أو الشفاهي) ويجب أن نفهم من هذا المحيط المادي والاجتماعي الذي يأخذ الظرف فيه مكانه والصورة التي تكون للمتخاطبين عنه وهوية هؤلاء، والفكرة التي يصطنعها عن الآخر. وإننا لنعرف التداولية -غالبا- بوصفها دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة».<sup>12</sup> لهذا لا نجد ضيحا في «أن يدعو بعض علماء النص إلى ضرورة أن يتجاوز التحليلُ البنيةَ الداخلية للنص ليشمل بنية السياق والعلاقات القائمة بين البنيتين».<sup>13</sup> من هنا أمسى السياق يتبوأ مكانة مركزية في البحث التداولي لما له من أثر في توجيه قصد المخاطب إنتاجا، وتأويل المخاطب تلقياً، ولعل هذا ما يُكسب السياق قيمة تداولية (Valeur pragmatique).

3. عتبات التلقي: مبدئياً، إذا طرحنا سؤالاً وقلنا: ما المقصود بعتبات التلقي؟ فإنه أول ما نتكل عليه في التوضيح والبيان هو المعنى القاموسي؛ فالعتبة لغَةٌ؛ هي عتبة الباب. ولزم فلان عتبة بابه أي؛ لم يبرحه. وفي المصطلحات المالية: عتبة السعر تعني مستوى لا يجوز للسعر أن يهبط دونه.<sup>14</sup> فمعنى العتبة من خلال ما أسفرت عنه الدلالة القاموسية يوحي بالتحديد والتقييد ومنه كان القصد بعتبات التلقي هو المستوى الذي يجب على المتلقي المؤول ألا يتجاوزه في عملية التلقي والتأويل حتى لا يقع في غياهب سوء الفهم. وهذا، ويرى المنظرون في المجال التداولي والتواصل اللغوي عموماً أن فعل التلقي والتأويل تقيده ثلاث عتبات وهي: عتبة التعاقد، وعتبة السياق، وعتبة القصد، وفيما يلي تفصيل ذلك:

1.3. عتبة التعاقد: نقصد بعتبة التعاقد هو التعاقد على التواصل بين قطبي العملية التواصلية ولتبسيط الأمر أكثر نقول: هو عبارة عن اتفاق عفوي وضمني مسبق بين المخاطب والمخاطب، ومما لا شك فيه أن هذا التعاقد هدفه تحقيق ثمرة التواصل وهي الفهم والإفهام، ويطلق على هذا التعاقد تداولياً بمبدأ التعاون (،) وهذا يعني أن فهم

الخطابات وتأويلها لا يتوقف على معنى الجمل واستحضار السياق فحسب؛ بل يركز أيضا على ما يبذله المتخاطبون من تعاون لإنجاح عملية التواصل.<sup>15</sup>

وذلك، وإنَّ المخاطب في تواصله يكون جادا في الوصول إلى غايته وهي التفاهم، وفي الوقت نفسه يكون المتلقي ملزما بالوصول إلى ما يرمي إليه المخاطب؛ فالمتلقي عندما يواجه في خطاب المتكلم قصدا مضمرا فإنه لا محالة من دخوله في عملية التأويل، وهنا تظهر عتبة التعاقد كمستوى من مستويات التلقي والتأويل؛ فهي -أي عتبة التعاقد- لن تسمح لعملية التأويل أن تمتد أكثر مما ينبغي أو تقف عند أقل مما ينبغي، وإلّا ضاع ما تمَّ التعاقد حوله.<sup>16</sup>

2.3. عتبة السياق: سبق وأن عرّفنا السياق بأنه: الظروف الخارجية غير اللغوية التي تحف الخطاب من زمان ومكان وهوية المتخاطبين وغيرها. وإنّا لنسلم بداهة أنّ المتكلم عندما ينتج خطابا ما يحرص على أن يكون ملائما لمقتضى حال المقام. بيد أنّه في بعض الأحيان يحدث أن يخترق الخطاب هذه المسلمة فتظهر الغرابة بين خطاب المتكلم وسياقه وهذا ما يسمى بالالتباس التداولي، وإنّ مهمة المتلقي هنا لتتوقف على إرجاع الغرابة إلى الملاءمة من خلال فعل التأويل؛ أي إنّّه يجب عليه أن يجعل الخطاب ملائما للسياق الذي أنتج فيه.<sup>17</sup> وبما أنّ عملية التأويل أقيمت من أجل البحث عن السياق المناسب فإنّها لن تتجاوزه ولن تتوقف عند أقل مما يقتضيه السياق نفسه، وهذا ما يطلق عليه "ج. يول وج. بروان" بـ(مبدأ الفهم المحلي) ونصّه: «أنّ المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معين لقول ما».<sup>18</sup>

3.3. عتبة القصد: إنّ الأصل في الكلام القصد، وكل خطاب لا بدّ أن يحمل معنى قابلا للفهم خالٍ من أي لبس لكي تتم عملية التواصل والتفاهم بنجاح، إلّا أنّه في بعض المناسبات يحدث أن تشذ بعض الخطابات عن هذه القاعدة، وهي في حقيقتها خطابات أراد منها صانعها أن تُوصّل قصدا عن طريق التلويح لا التصريح، الأمر الذي يحث المتلقي

## تَلَقِّي النَّصِّ مِنَ الْبُنْيَةِ إِلَى السِّيَاقِ: دِرَاسَةٌ فِي تَفَاعُلِ الْكَفَاءَاتِ

على ارتياد عميلة التأويل باحثا عن القصد الفعلي؛ «لأنَّ ما يفهم من غير قصد لا يؤدي إلى إتمام التواصل بل ينتهي إلى ما يعرف بسوء التفاهم؛ ذلك أنَّ الملفوظ الواحد تختلف عليه مجموعة من المعاني، ويظل يحملها إلى أن يتدخل المرسل إليه للحسم في واحد منها قد يكون هو المقصود».<sup>19</sup>

4. كفاءات التلقي: لقد استقر لدينا مما سبق أنَّ قيام عملية التأويل تكون وبشكل خاص مع الخطابات التي يكون معناها مخالفا لظاهرها. ثم إنَّ الإمساك بالمعاني الضمنية ليس أمرا هينا كما يتصور؛ فظلال المعنى كثيرة ومتعددة، والخطابات غير المباشرة من استعارات وكنائيات ومجاز حمالة وجوه. هذا الأمر يُلْزِمُ المتلقي المؤول على التزود بكفاءات ناجعة تمكنه من الفوز بالمعنى المقصود «فأن يؤوّل المرءُ قولاً ما يعني ببساطة أن يطبق كفاءاته المتنوعة على مختلف العناصر الدالة المدرجة في المتتالية، حتى يتمكن من استخراج مدلولات منها».<sup>20</sup> وهي في مجملها ثلاث كفاءات: كَفَاءَةٌ لِسَانِيَّةٌ، وَكَفَاءَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ، وَكَفَاءَةٌ إِسْتِدْلَالِيَّةٌ. وفيما يلي تفصيل كل كفاءة على حدة.

1.4. الكَفَاءَةُ اللَّسَانِيَّةُ: يعتبر مؤسس المدرسة التوليدية التحولية "نعوم تشومسكي" (NoamChomsky) من أبرز مَنْ اهتم بمفهوم الكفاءة في الدراسات اللسانية الحديثة تحت ما سماه بالكفاية اللغوية أو القدرة اللسانية، في مقابل الأداء اللغوي أو الكلام. «ومفهوم الكفاءة اللسانية عنده يعني: المعرفة الضمنية بقواعد اللغة».<sup>21</sup> وهي القواعد الفونوتيكية (الصوتية) والمورفولوجية (الصرفية) والمعجمية والدلالية.

والكفاءة -أساسا- نظام من القواعد والمبادئ التي تمثل تمثيلا عقليا، والتي تمكن المتكلم من فهم جمل حية وتمكنه من التعبير عن أفكاره، وتلك القدرات اللسانية تقضي بتطابق التعبيرات مع ما تعبر عنه في لغة بعينها، كما تضم الأحكام عن حسن السبك والحبك، ومرجعية التعبيرات، والتماثل والتعدد الدلالي، ودرجة الانحراف.<sup>22</sup> فهذا النوع

من الكفاءات يتطلب من المتلقي المؤول أن يكون عالما بقواعد لغته صوتا وصرفا ونحوا ومعجما ودلالة؛ وهذه كلها معارف لسانية معيارية وضعية تساعد المتلقي المؤول على تسجيل أي خرق أو انزياح يحدث على مستوى البنية اللسانية فقط.<sup>23</sup> لأنه «تبيّن مع تطور البحث أنّ القدرة النحوية لا تمثل سوى جزء من عدة أنساق أخرى لا تشكل المعرفة اللغوية فيها إلا نسقا واحدا (...) كالنسق التصوري، والقدرة التداولية، ونسق الفهم المشترك».<sup>24</sup> وهذا ما سيتبيّن مع الكفاءة التداولية.

2.4. الكفاءة التداوُلِيَّة: إذا كانت المعرفة في الكفاءة اللسانية هي معرفة بنيوية داخلية فإنّه مع الكفاءة التداولية يتعلق الأمر بمعارف سياقية خارجية لا لسانية، لأنّ من العوامل الأكثر أهمية في عملية التلقي والتأويل والتي يدير دفتها القارئ أو السامع هي عوامل تداولية، وردود فعل القراء الذين يحاولون فهم النصوص لا تكون نتيجة توظيفهم كفاءتهم اللغوية فقط، بل إنّهم ينعمون بكم وافر من المعرفة عن العالم تسهم في ذلك الفهم أيضا، وفي التداولية يعرف هذا عموما بالمعرفة الموسوعية<sup>25</sup> (SvoirEncyclopédique).

وإنّ هذه المعرفة هي معرفة مفتوحة؛ إذ يمكن إثراءها باستمرار، وهي ضرورية في عملية التلقي والتأويل؛ ذلك أنّ القارئ أو السامع لا يواجه نصا ما من فراغ وإنّما يعتمد على ما تراكم لديه من خبرات وتجارب سواء أكانت مستمدة من النصوص أو من المحيط السوسيوثقافي، «ويطلق "ريفاتير" على هذا النوع من القراء بالقارئ الفائق، وهو قارئ يتشكل من مخزون من المرجعيات التاريخية والفقهِ لغوية والثقافية، وهي معارف ترشد القارئ أثناء قراءته للنص وتستوقفه عند النقاط الدالة فيه».<sup>26</sup>

3.4. الكفاءة الاستدلالية: تعد الكفاءة الاستدلالية من أهم الكفاءات التي يعتمد عليها المتلقي المؤول في عميلة التلقي والتأويل؛ فلا يمكن أن يطمئن بال المتلقي للقصد الذي وصل إليه بموجب الكفاءتين اللسانية والتداولية فحسب، بل يجب أن يتقرر عنده

## تَلَقِّي النَّصِّ مِنَ الْبُنْيَةِ إِلَى السِّيَاقِ: دِرَاسَةٌ فِي تَفَاعُلِ الْكَفَاءَاتِ

صدق ذلك من خلال عمليات ذات طابع استدلالي في جوهرها، وهذه وظيفة الكفاءة الاستدلالية؛ إذ «هي عبارة عن آلية أو إستراتيجية يستطيع المرسل إليه بموجبها استنتاج ما يُرادُّ قوله من خلال ما تم قوله».<sup>27</sup> ففي الكفاءة الاستدلالية يتعلق الأمر بالجمع والتوفيق بين المعلومات اللسانية (بنوية نصية) وبين المعلومات خارج لسانية (سياقية تداولية).

5. نَمُودَجٌ تَطْبِيقِيٌّ لِاشْتِغَالِ الْكَفَاءَاتِ الثَّلَاثِ: سنحاول في هذا العنصر أن نبين كيفية اشتغال الكفاءات الثلاث على مستوى عملية التلقي والتأويل من خلال عرض نموذج تطبيقي. فممَّا يُروى في كتب الطرائف والبلاغة والبيان أَنَّ امرأةً قدمت إلى "الحجاج بن يوسف الثقفي" (ت95هـ) تريد أن تشكو إليه حالها، فقالت إني أشكو إليك قلة الفئران في بيتي!. فاستغرب الحاضرون في المجلس من هذه الشكوى، واعتبروها سخيفة، وهناك من سخر منها ودعاها إلى شكر الله على هذه النعمة. لكن الحجاج بن يوسف الثقفي وهو الذي عرف عنه سفك الدماء لأتفه الأسباب أمر خدمه فقال: املئوا لها بيتها لحما وخبزًا وسمنا. فماذا تقصد المرأة بقولها: إني أشكو إليك قلة الفئران في بيتي! أكيد أنه من يتأمل في هذه الواقعة يجد في خطاب المرأة من الغرابة ما يجد، ومتى اتصف خطاب ما في عملية التلقي بالغرابة فإنه لا بد أن يُصرف إلى التأويل؛ وذلك بغية إلباسه رداء الملاءمة وجعله منسجما دلاليا، وهو يعني حسب بحثنا هذا اشتغال كفاءات التلقي والتأويل على ثلاث مستويات، وفيما يلي تحليل وبيان ذلك:

1. على مستوى الكفاءة اللسانية: تتدخل كفاءتنا اللسانية على مستوى بنية الملفوظ (إني أشكو إليك قلة الفئران في بيتي!) لتخبرنا بأنه ملفوظ سليم صوتيا وصرفيا ونحويا، إلا أنه يوجد شذوذ على مستوى الملاءمة المعجمي؛ إذ الجملة (قلة الفئران) المكونة من مضاف ومضاف إليه غير مناسبة دلاليا مع جملة يكون الفعل فيها (أشكو)، فالإنسان لا يشكو من قلة الفئران! وهذا هو مستوى اشتغال الكفاءة اللسانية.

2. على مستوى الكفاءة التداولية: تتدخل الكفاءة التداولية ذات المعرفة السياقية والموسوعية لتثبت لنا أنّ الملفوظ (إني أشكو إليك قلة الفئران في بيتي!) وإن كان شاذًا دلاليًا إلاّ أنّه مقبول تداوليًا؛ فقد يدل على أكثر مما تدل عليه حرفية المعنى، فالثقافة الموسوعية البلاغية تقول بأنّ من سنن العرب في كلامها مجافاة التصريح والميل إلى التلويح «توسعا واقتدارا واختصار، وثقة في فهم المخاطب»<sup>28</sup>، وهذا مدار الكناية. فيمكن أنّ المرأة أرادت أن تقول صراحة بأنّها فقيرة ومحتاجة، وإنّما فعلت ذلك خوفاً من الحجاج واستحياء من الحضور، وهلم جزًا من الأسباب السياقية الداعية إلى الإلغاز. فهل هذا القصد الذي أفرزته عملية التأويل على مستوى الكفاءة التداولية ملائم؟ وهل هو القصد الفعلي المطلوب؟ هذا ما ستكفل بالإجابة عنه الكفاءة الاستدلالية.

3. على مستوى الكفاءة الاستدلالية: إذا كانت الكفاءة اللسانية المعيارية يتوقف عملها على مستوى البنية اللسانية أو السياق النصي، والكفاءة التداولية ذات المعرفة الموسوعية تتوقف عند حدود السياق المقامي وتحاول إمطة اللثام عن حرفية المعنى وتكشف عن القصد الفعلي، فإنّ الكفاءة الاستدلالية وظيفتها عملية؛ إذ تحاول الاستدلال على صدق ما توصلت إليه الكفاءة التداولية، أي تحاول إثبات صحة القصد الفعلي والمتمثل في (أنّ المرأة فقيرة). وعلمي يمكن عرض مراحل الاستدلال على النحو الآتي:

أ- المرأة في سياق شكوى واستعطاف.

ب- المرأة في حضرة شخص عرف ببطشه وجبروته، وهذا يدعو إلى الخوف والاحتراز، كما أنّها في موقف محرج أما الحاضرين مجلس الحجاج.

ج- الخوف من الحجاج والهرج من الحضور يجعلان المرأة تتجنب الخطاب المباشر ويجبرانهما على اللجوء إلى إنشاء خطاب غير مباشر بأسلوب كنائي.

د- المرأة قالت شاكية: إني أشكو إليك قلة الفئران في بيتي!، والحجاج كونه متلقيا يعلم أنّ قلة الفئران منطقيا ليس مما يشتكى منه.

## تَلْقِي النَّصِّ مِنَ الْبُنْيَةِ إِلَى السِّيَاقِ: دِرَاسَةٌ فِي تَفَاعُلِ الْكَفَاءَاتِ

م- ما الشيء في البيت الذي يمكن أن يشتكى من قلته وله علاقة بالفئران؟  
و- يمكن أن يكون الطعام؛ لأنه أينما يتواجد الطعام تتواجد الفئران، والعكس بالعكس.

ز- إذن، المرأة أرادت أن تقول بأنّها فقيرة فقرا مُدَقِّعًا؛ حتى أنّ الفئران لا تجد ما تأكله.

ح- ونحن كمتلقين قارئين ما يدل على صحة هذه النتيجة الاستدلالية هو قول الحجاج: املئوا لها بيتها لحما وخبزًا وسمنا. وهذا يعني أنّ الحجاج قد توصل إلى قصد المرأة فعلا، وكيف لا وهو المعروف بفصاحته والمشهور ببلاغته، والمتفرد ببيانه، والمتميز بذوقه الأدبي، فكم من أشخاص كان مصيرهم الموت غير أنّ الحجاج بن يوسف الثقفي عفا عنهم لفصاحتهم.

خاتمة: ومما درس من القول يمكن الخلوص إلى ما يلي:

- تعرض البحث إلى مفهوم كل من الكفاءة اللسانية والتداولية والاستدلالية.
- بيّن البحث مستويات وعتبات اشتغال الكفاءات الثلاث.
- أبان البحث عن أهمية السياق ودوره في عملية تلقي النص.
- أثبت البحث قصور التحليل البنيوي والمتمثل في الكفاءة اللسانية عن تفسير العديد من الملفوظات الشاذة تداوليا.
- أثبت البحث أهمية تفاعل الكفاءات الثلاث (اللسانية والتداولية والاستدلالية) في عملية التلقي والتأويل.

توصيات: بعد إنجاز هذا البحث يوصي الباحث بما يلي:

- ضرورة الاهتمام بمثل هذه الدراسات اللسانية والنصية التي تجمع بين البنية والسياق.

- تطبيق تفاعل الكفاءات الثلاث (اللسانية والتداولية والاستدلالية) على مدونة ما  
سواء من التراث القديم أو من الحديث.

### الهوامش:

- <sup>1</sup>. ينظر: كولوفي، غنيمة، (2013م)، نظرية التلقي (خلفياتها الاستمولوجية وعلاقتها بنظريات الاتصال)، الجزائر، دط، ص69، 70.
- <sup>2</sup>. عبده، عبد الهادي السيد، (2020م)، الكفاءة الشخصية (الانفعالية، الاجتماعية، الأخلاقية)، القاهرة-مصر، دط، ص16.
- <sup>3</sup>. دومينيك، مانغونو، (1428هـ/2008م)، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، الجزائر العاصمة-الجزائر، ط1، ص23.
- <sup>4</sup>. عفيفي، أحمد، (2001م)، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، القاهرة-مصر، ط1، ص49.
- <sup>5</sup>. مولز، أبرهام وآخرون، (2014م)، في التداولية المعاصرة والتواصل، الدار البيضاء-المغرب، دط، ص156.
- <sup>6</sup>. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، (2004م)، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، بيروت-لبنان، ط1، ص41.
- <sup>7</sup>. ينظر: دايك، فان، (1421هـ/2001م)، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، القاهرة-مصر، ط1، ص116.
- <sup>8</sup>. دي بوجراند، روبرت، (1418هـ/1998م)، النص والخطاب والإجراء، القاهرة-مصر، ط1، ص103.
- <sup>9</sup>. ينظر: ختام، جواد، (1437هـ/2016م)، التداولية (أصولها واتجاهاتها)، عمان-الأردن، ط1، ص47.
- <sup>10</sup>. يول، جورج، (1431هـ/2010م)، التداولية، بيروت-لبنان، ط1، ص19.
- <sup>11</sup>. يول، جورج وجيليان، براون، (1418هـ/1997م)، تحليل الخطاب، الرياض-المملكة العربية السعودية، دط، ص35.
- <sup>12</sup>. أزوالد، ديكرووسشايفر، جان ماري، (دس)، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، الدار البيضاء-المغرب، دط، ص677.
- <sup>13</sup>. الصبيحي، مُجَدُّ الأخضر، (م2021/02/25م)، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الجزائر، دط، ص98.
- <sup>14</sup>. ينظر: معجم المعاني الجامع، تم الاطلاع عليه في: <https://www.almaany.com>
- <sup>15</sup>. ينظر: ختام، ختام، (أصولها واتجاهاتها)، ص101.

- <sup>16</sup> . ينظر: علوي، عبد السلام إسماعيلي، (2014م)، في تداوليات التأويل، كتاب (التداولية علم استعمال اللغة)، إربد-الأردن، ط2، ص232.
- <sup>17</sup> . ينظر: المرجع نفسه، ص233.
- <sup>18</sup> . يول، جورج وجيليان، براون، تحليل الخطاب، ص71.
- <sup>19</sup> . علوي، عبد السلام إسماعيلي، (1438هـ/2017م)، السيميولسانيات وفلسفة اللغة (في تداوليات المعنى والتجاوز الدلالي)، عمان-الأردن، ط1، ص75.
- <sup>20</sup> كيريرات-أوريكيوني، كاترين، (2008م)، المضمّر، بيروت-لبنان، ط1، ص283.
- <sup>21</sup> . العبد، مُجَدِّد، (2014م)، النص والخطاب والاتصال، القاهرة-مصر، دط، ص15-16.
- <sup>22</sup> . ينظر: المرجع نفسه، ص21.
- <sup>23</sup> . ينظر: علوي، عبد السلام إسماعيلي، (2014م)، في تداوليات التأويل، كتاب (التداولية علم استعمال اللغة)، إربد-الأردن، ط2، ص217.
- <sup>24</sup> . ينظر: البوشيخي، عز الدين، (دس)، التواصل اللغوي (مقاربة لسانية وظيفية)، بيروت-لبنان، دط، ص20.
- <sup>25</sup> . ينظر: فولر، روجر، روجر، (2012م)، النقد اللساني، بيروت-لبنان، ط1، ص385.
- <sup>26</sup> - المرجع نفسه، ص385.
- <sup>27</sup> . علوي، عبد السلام إسماعيلي، السيميولسانيات وفلسفة اللغة (في تداوليات المعنى والتجاوز الدلالي)، ص96.
- <sup>28</sup> . الثعالبي، أبو منصور، (1436هـ/2015م)، فقه اللغة وسر العربية، القاهرة، ط1، ص240.
- قائمة المصادر والمراجع:**
1. مولز، أبرهام وآخرون، (2014م)، في التداولية المعاصرة والتواصل، الدار البيضاء-المغرب، دط.
2. عفيفي، أحمد، (2001م)، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، القاهرة-مصر، ط1.
3. أزوالد، ديكرو و سشايفر، جان ماري، (دس)، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، الدار البيضاء-المغرب، دط.
4. ختام، جواد، (1437هـ/2016م)، التداولية (أصولها واتجاهاتها)، عمان-الأردن، ط1.
5. يول، جورج وجيليان، براون، (1418هـ/1997م)، تحليل الخطاب، (تر): مُجَدِّد لطفي الزليطني ومنير التريكي، الرياض-المملكة العربية السعودية، دط.
6. يول، جورج، (1431هـ/2010م)، التداولية، (تر): قصي العتاي، بيروت-لبنان، ط1.

7. دومينيك، مانغونو، (1428هـ/2008م)، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، الجزائر العاصمة-الجزائر، ط1.
  8. دي بوجراند، روبرت، (1418هـ/1998م)، النص والخطاب والإجراء، القاهرة-مصر، ط1.
  9. فالور، روجر، (2012م)، النقد اللساني، بيروت-لبنان، ط1.
  10. علوي، عبد السلام إسماعيلي، (1438هـ/2017م)، السيميولسانيات وفلسفة اللغة (في تداوليات المعنى والتجاوز الدلالي)، عمان-الأردن، ط1.
  11. عبد السلام إسماعيلي علوي، (2014م)، في تداوليات التأويل، كتاب (التداولية علم استعمال اللغة)، إربد-الأردن، ط2.
  12. عبده، عبد الهادي السيد، (2020م)، الكفاءة الشخصية (الانفعالية، الاجتماعية، الأخلاقية)، القاهرة-مصر دط.
  13. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، (2004م)، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، بيروت-لبنان ط1.
  14. عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي (مقاربة لسانية وظيفية)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، دط، دت، ص20.
  15. كولوقي، غنيمه، (2013م)، نظرية التلقي (خلفياتها الاستمولوجية وعلاقتها بنظريات الاتصال)، الجزائر، دط.
  16. دايك، فان، (1421هـ/2001م)، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، القاهرة-مصر ط1.
  17. الصبيحي، مُجَّد الأخضر، (دس)، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الجزائر، دط.
  18. العبد، مُجَّد، (2014م)، النص والخطاب والاتصال، القاهرة-مصر، دط.
  19. الثعالبي، أبو منصور، (1436هـ/2015م)، فقه اللغة وسر العربية، القاهرة، ط1.
- المواقع الإلكترونية:

1. معجم المعاني الجامع، تم الاطلاع عليه في: 2021/02/25، <https://www.almaany.com>.